الهُوية الوطنية الأسرية والمجتمعية ومستقبل الاستقرار الاجتماعي في السودان

د. أشرف محمد آدم أدهم[1] د. فيصل محمد عبد البارئ[2]

الملخص:

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: أنه مع التطورات والسياسات العالمية للاتجاه نحو العولمة لبناء هُوية عولمية، أصبحت الأسرة غير قادرة على انتاج الهُوية الوطنية كأحد المعايير القيمية التي من المفترض أن تزود بها أفرادها، ومع عدم الاستقرار الأمني والمعيشي على المستوى المحلي وسرعة التطورات التكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات، بدأت الأسرة تفقد دورها المهم في التنشئة الاجتماعية وتربية الأبناء، وبالتالي بدأت تفقد القدرة على المحافظة على الهُوية الأسرية. كما وُجد أنه أمام فشل الحكومات الوطنية في إدارة التنوع والصراع، تجد الأسرة نفسها تقف على مفترق الطريق بين تزكية الهُوية الوطنية، أو تزكية الهُوية الإثنوثقافية، وكلما فشلت الحكومات في بسط الأمن والاستقرار المجتمعي وغرقت في التجاذبات والاستقطابات القَبَليّة، كلما ضعفت الهُوية الوطنية والشعور بالمواطنة وتَقوّت الهُوية الإثنوثقافية. تم استخدام المنهج التحليلي في تحليل الواقع المحلي والمؤثرات العالمية، ومنهج تحليل المضمون لبعض النصوص المرتبطة بموضوع الدراسة.

كلمات مفتاحية: الهُوية. الوطنية. الاستقرار الاجتماعي. الهُوية الوطنية. الأسرية والمجتمعية.

1 – أستاذ مساعد بقسم الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية بجامعة النيلين.

2 – أستاذ مساعد بقسم الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية بجامعة النيلين، fisaltoto20@gmail.com.

Family and community national identity and the future of social stability in Sudan

By Dr. Ashraf Mohamed Adam Adham
Dr. Faisal Mohammed Abdul Bari

Abstract :
The study concluded the following results: With the global developments and policies towards globalization to build a global identity, the family has been unable to produce national identity as one of the values that are supposed to be provided to its members, with local security and livelihood instability, rapid technological developments and the information and communication revolution. The family loses its important role in socializing and raising children, thus losing the ability to maintain family identity. On the other hand, it was found that in case of national governments failure to manage diversity and conflict, the family finds itself at the crossroads of recommending national identity, or recommending ethno-cultural identity. The more governments fail to establish security and social stability, the more tribal and tribal rivalries become, the weaker the national identity and the sense of citizenship and the power of ethno-cultural identity. The analytical method was used to analyze the local reality and global influences, and the content analysis method for some texts related to the subject of the study.
Keywords: Identity.Patriotism.Social stability.National Identity.Family and community.

مقدمة:

هدفت هذه الدراسة إلى استشراف مستقبل الاستقرار الاجتماعي من خلال قراءة وتحليل أوضاع الأسر السودانية في ظل السياسات العالمية والتطورات والتغيرات الاقليمية والمحلية، والصراع التأريخي حول موضوع الهُوية الوطنية والمواطنة منذ استقلال السودان 1956م، والذي أخذ طابعاً حرجاً وأكثر دقة في عمليات التمايز والصراع الإثنوثقافي، وقد تناولت الدراسة الموضوعات التالية: الأسرة، الهُوية، الوطن والهُوية، الهُوية والوطنية، العوامل الخارجية والداخلية المؤثرة على الهُوية الوطنية، والنتائج.

مشكلة الدراسة:

تسعى مشكلة الدراسة لمعرفة مدى قدرة الأسر السودانية في الاستمرار في أداء بعض وظائفها المتعلقة، وذلك بالمحافظة على الولاء الوطني والهُوية الوطنية ونقلها من الجيل الحالي إل الجيل التالي، ومحاولة استقراء مستقبل الاستقرار الاجتماعي في المجتمع السوداني.

تساؤلات الدراسة:

ركز موضوع هذه الدراسة على التساؤلات التالية: ما هي حالة الأسرة السودانية، وكيف يمكن قراءة مستقبل الاستقرار الاجتماعي في ظل الظروف المورثة المتمثلة في عدم الاستقرار السياسي والصراعات القبلية من ناحية، ومن ناحية أخرى التحولات التي أحدثتها ثورة ديسمبر 2019م بالخروج من ثلاثين عاماً تعاظم فيها الكبت والفساد الحكومي المالي الإداري والفساد الأخلاقي، والاستقطابات القبلية، والأزمات الاقتصادية وغيرها التي تعمل على اضعاف الولاء الوطني والهُوية الوطنية، هذا على مستوى المحيط المحلي. وعلى مستوى المحيط الإقليمي والدولي، هناك التطورات والتغيرات السريعة التي تحدثها السياسات العولمية، والتي تعمل على خلخلة الهُويات المحلية والوطنية وتعمل على اضعاف الولاء للوطن.

الأسرة:

يعتبر النسق القرابي من الأنساق الاجتماعية المهمة، حيث أن علاقات القرابة تتسم بطابع يميزها عن العلاقات الاجتماعية الأخرى مثل العلاقات الاقتصادية أو السياسية أو الدينية، حيث أن الارتباط بالدم والسلالة يعطي هذه العلاقات طابعها الخاص، والأسرة تعتبر النظام الأساس المكون للنسق القرابي.

الأسرة هي العنصر الأساس المكون للمجتمع والمنتج للنظم الاجتماعية، وهي الوحدة الأساسية التي يتم فيها بناء الشخصية والهُوية الفردية والجماعية حسب المؤثرات والمعطيات والبيئة المحيطة بها، وفيها يتم نقل الأنماط والسمات الثقافية بكل تعقيداتها، مثال قواعد ومعايير السلوك والقيم والأخلاق، والرموز والشفرات التي تؤهل أفرادها للتكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة، مثال الشعور بالتمايز والتفاخر، ومن وكيف ولماذا يحبون أو يكرهون أو يحتقرون، بمعني آخر كيف يتعاونون ومع من، وكيف يتنافسون، وكيف يتصارعون، وكيف ومتى يتوفقون على المستوى الداخلي للجماعة أو مع الآخر.

الأسرة ظاهر اجتماعية وهي جماعة إنسانية على درجة عالية من النظام، ومن خلال ما تنتجه من معايير وقيم وموجهات للسلوك والمحافظة عليها وعلى الإرث الثقافي فهي مكلفة بواجب استقرار وتطور المجتمع، كذلك هي وحدة بنائية تتكون من روابط نفسية معنوية وبيولوجية، كذلك الأسرة تعني معيشة رجل وامرأة وأكثر في مقر إقامة مشترك، وتكون بينهم علاقة جنسية يقرها المجتمع، ويترتب على ذلك زمرة من الحقوق والواجبات تجاه كل طرف وتجاه الأبناء (الخولي، 1988:369)، وهي نسق اجتماعي يمارس أعضاها الأدوار الثابتة في المجتمع، وتعمل على تدعيم مدى الترابط والانسجام الذي يتوحد به الأفراد في طفولتهم أثناء التفاعل في المواقف الأسرية (رشوان، 2007: 90-91)،

ومن خصائص الأسرة أنها تلعب دوراً مهماً وحيوياً في تشكيل وجدان وشخصية وهُوية الأفراد، وذلك لما لها من قوة تأثير على الأبناء، حيث تملّك الأبناء مهارات التكيف والتواصل الاجتماعي مع الآخرين حسب متطلبات الأدوار الاجتماعية، وتساعدهم على تشكيل الذات الفردية والجماعية إلى جانب فهم البيئة الاجتماعية المحيطة بالأسرة، كما تساعد في تشكّل الهُوية الثقافية والوطنية والتمييز بينها وبين الهُويات الأخرى.

من أبرز وظائف الأسـرة هي عمليات التنشـئة الاجتماعية والتي يمكن تعريفها بأنها عملية تفاعل يتم من خلالها تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وهي في أسـاسـها عملية تعـلم(رشاد، 1995: 21) ، وهى عملية معقدة تتضمن شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، وهى كذلك العمليات التي يصـبح فيها الفرد واعياً ومستجيباً للمؤثرات الاجتماعية وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط، وما تفرضه من واجبات كي يتعلم كيف يعيش مع الآخرين الذين تربطهم صـلات داخل الجماعة ويسـلك معهم مسـلكهم في الحياة (رشـاد، 1995: 21)، وكيف يتعامل مع أولئك الذين هم خارج الجماعة، كما تعتبر عملية التنشـئة إحدى عناصـر الاسـتقرار والاسـتمرار للنظام، وكإحدى عناصـر التغيير أيضـاً في المجتمع (فيصل، ب–ت: 20)، وإحدى آليات تشكّل الهُوية سواء كانت الأسرية أو المجتمعية أو الوطنية.

وفي إطار تكوين الاتجاهات السياسية، يمكن الحديث عن التنشئة الاجتماعية السياسية، وقد عُرّفت على أنها العملية التي من خلالها يكتسب الفرد الاتجاهات والتوجيهات نحو الظواهر السياسية (رعد، 2000: 17)، ولدى دارسو التنشئة السياسية انطباعات وأفكار مختلفة عما يحدث في عملية التنشـئة، فيرى البعض أنها نقل معلومات سـياسـية وقيم ووجهات نظر الوالدين، والمدرسـين وقنوات التنشـئة الأخرى للمواطنين الجدد الذين في حالة نمو ونضـوج، بينما يرى البعض الآخر أنها تنمية قدرة الطفل على فهم البيئة السـياسـية، الرأي الأول يؤكد ما تنقله قنوات التنشـئة، بينما يركز الرأي الثاني على تنمية قدرات الفرد، لذلك فأي مفهوم شـامل للتنشـئة السـياسـية يجب أن يتضـمن وجهتي النظر (ريتشارد، 1990: 56).

ومما تقدم نخلص إلى أن مفهوم التنشئة الاجتماعية السياسية هي العملية التي تستطيع من خلالها الأسرة والمجتمع نقل الثقافة السياسية من جيل إلى آخر، وهي عملية تدريس الشباب بواسطة المجتمع على كيفية التصرف مع القابضين على السلطة السياسية (رعد، 2000: 17)، أو بمعنى آخر التنشئة الاجتماعية السياسية هي عملية تطورية، يتمكن المواطن أو "مواطن المستقبل" خلالها من النضوج السياسي، وخلال هذه العملية يكتسب الفرد معلومات ومشاعر ومعتقدات متنوعة تساعده

على فهم وتقييم الارتباط بالبيئة السياسية المحيطة به وتعتبر توجهات الفرد السياسية جزء من توجهاته الاجتماعية العامة، فالمشاعر تجاه الحياة السياسية ترتبط في الغالب بوجهات النظر الاقتصادية والثقافية والدينية (ريتشارد، 1990، 61).

الهُوية:

يرتكز تشكّل الهُوية في أحد جوانبه المرتبطة بالانتماء إلى جماعة معينة لها صفاتها ومواصفاتها، على عنصرين أساسيين هما، الذات الفردية والذات الجماعية، حيث تقوم عمليات التنشئة الاجتماعية بتنميتها وتشكيل مهارات ارتباط الفرد بالجماعة الأولية المتمثلة في الأسرة، فتنمو الإمكانيات النفسية والعاطفية والوجدانية، التي تمكن الفرد من التعرف على ذاته والوعي به self-consciousness، ثم ينتقل من خلال العديد من العمليات الاجتماعية والثقافية المعقدة، من مرحلة الوعي بالذات وفهمه، أو من الدور البسيط المتمثل في التمحور حول الذات، إلى الوعي بالدور العام، أو الذات الجماعية.

حيث أن نمو الدور العام أو الاندماج مع الآخر generalized with other في صورته الواقعية، ينمو من خلال اشتراك الطفل في النشاطات الأولية التعاونية مع الآخرين، مثل اللعب الجماعي والعمل، حيث أن فريق العمل يكون مطلب أساسي في الألعاب الجماعية المنظمة، وكلما ازداد نمو الشخص تزداد قدرته على التزود بالمنظومات الاجتماعية أثناء ممارسته للمهام الجدية والتي يظهر فيها الدور العام (Young,1946: 141).

وهكذا نرى أن الفرد يتعرف على هُويته الفردية والجماعية الصغيرة في نطاق جماعته الأولية، ثم يتعرّف أو يحاط علماً acquaint بهُويته الجماعية الكبيرة في نطاق القبيلة، أو الناس الذين يشعر أنه بينه وبينهم شبه قوى، مكوّن من مجموعة من العناصر: مثل الشكل واللون واللغة والتواجد الجغرافي، ثم يتعرف على الجماعة الأكبر (الوطن)، وفي كل الأحوال تتميز هذه العلاقات بأنها مزيج من الارتباطات المبنية على تقييم عقلي واعي وبين العاطفة والارتباطات النفسية. وغالباً ما تكون مراحل نمو الهُوية وتكوّنها متداخلة تجاه أفراد الأسرة أو المجتمع أو الوطن، بمعنى أنها لا تأتي بالترتيب.

من ناحية أخرى تنشأ أيضاً عملية التعرف على الآخر والوعي به وبالفروق التي تجعلهما مختلفين أو متقاربين من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية وعمليات التكيف الثقافي والتمييز the cultural conditioning and prejudice، حيث يستطيع الفرد التمييز بين مجموعته الاجتماعية والمجموعات الأخرى، معتمداً على خصائص الموقف الذي تتم فيه عمليات التفاعل الاجتماعي، أو على نوع العلاقات التي تحدث بين المتفاعلين في ذلك الموقف (فؤاد، 1993: 211). وتلعب

المؤثرات الاجتماعية دوراً كبيراً في تكوين مفهوم الذات، حيث تختلف المعايير الاجتماعية في مجتمع من المجتمعات حسب السن والجنس والمركز الاجتماعي، فالمقبول في جماعة ليس بالضرورة أن يكون مقبول في الجماعة الأخرى (مصطفى، 1997: 64).

ففي إطار استمرارية تكوين الذات الجماعية يصل الأفراد المكونين للجماعة إلى مرحلة تبنى أفكارها وتصرفاتها وسلوكها ومعتقداتها، والتمييز بين هُوية هؤلاء في مقابل هُوية أولئك، وفي إطار الفهم الغير مباشر للتنوع في بعض القيم التي تميزني عن الآخر (الجماعة الأخرى)، ومن خلال هذا النوع من التفاعل قد يدرك أفراد الجماعة، أو أدرك أنا وجماعتي، أن هناك فرق بيننا وبين تلك الجماعة، حيث أنه في حالة تلاقى مجموعات بشرية، يحدث ما يعرف بالتعريف والتمييز identification and differentiation، بين هذه الجماعات وتلك.

وينبني هذا التعريف على الفوارق أو الاختلافات الثقافية، من حيث الإنتاج الثقافي، والوعي والإدراك الثقافي، وتدرك كل جماعة أنها تختلف عن الأخرى ولها مميزات ذاتية داخلية من الناحية النفسية تميزها، ولها ميزات خارجية من الناحية الثقافية تميزها رغم الوحدة البيولوجية البشرية، من ناحية أخرى يرى علماء النفس أن تمسك الجماعة والروح المعنوية، يتوقفان على مدى استمرار البنيان القائم، ويتوقف الاستقرار على توقعات كل فرد لدوره في الجماعة، وبذا يتكون الشعور بالانتمائية (جلال، ب-ت: 299).

إن الشعور بالانتماء إلى الجماعة يعتبر أحد المحكّات الرئيسية أو الأساسية في تمسك الجماعة، حيث يعرّف هذا المفهوم بأنه شعور الأفراد بانتمائهم إلى جماعة وتحدثهم عنها بدلاً من تحدثهم عن ذواتهم، وسيادة الولاء بينهم، يعملون معاً في سبيل أهداف معينة ومشتركة يكون الأفراد على أتم استعداد لتحمل المسؤولية ويكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن أنفسهم وعن جماعتهم(مجدي، ب-ت: 120).

ولا شك أنه في إطار التفاعلات داخل الجماعة الواحدة، يكون هنالك من الأعضاء من يتعارض مع بعض قيم الجماعة، فتحاول الجماعة دائماً اجتذابهم إلى مستوياتها، لذلك قد يضطر العضو إلى التخلي عن كثير من معتقداته الخاصة (الذاتية)، في سبيل مواصلة العضوية في الجماعة، وقد يصل إلى درجة التخلي التام وامتصاص معايير الجماعة، مما يبيّن لنا قوة الجماعة في تغيير الاتجاهات النفسية للأفراد، وما دام الفرد يتقمص الجماعة التي ينتمي إليها، تصبح الجماعة أهم عامل في تغيير الاتجاهات (جلال، ب-ت:200).

في جانب آخر تختلف الجماعات فيما بينها من حيث سهولة أو صعوبة العضوية فيها، وغالباً ينطبق هذا على الجماعات الثانوية، حيث أن عضويتها قد تتطلب بعض المواصفات أو المهارات أو السمات التي يجب توفرها في منتسبيها، وبالتالي كلما شعر الأفراد بصعوبة الانضمام لعضوية مثل هذه الجماعات، كلما اكتسبت هذه العضوية أنواع من الهيبة والقدسية في نفس بعض الأفراد، حيث أن الانتساب إليها يمنح الفرد هُوية ومكانة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو كلها مجتمعة، وبهذا تحتل مثل هذه الجماعات حيزاً وجدانياً ونفسانياً وعاطفياً.

إلا أن الجماعة الأولية الممثلة في الأسرة والعائلة والقبيلة، تحظى بالقدر الأكبر من الولاء والانتماء باعتبارها العناصر الأولى المحددة للهُوية، وكلما كان هناك توافق بينها وبين المجتمع المحيط بها، كلما حظي المجتمع بولاء وانتماء الجماعة له واكتساب هُويته، وقد يساعد ذلك على تخلي الأفراد عن بعض ولاءهم المتعصب للقبيلة واتخاذها رمزا للهُوية، وكلما شعر الجماعة بالعزلة الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية وماشابه ذلك، كلما زاد هذا من تماسكها وتطويرها أساليب تعبئة الضمير الجمعي والتمحور حول الذات الجماعية القبلية.

وهكذا نجد أن الهُوية تتأثر بالقوى التي تقع عليها من البيئة الخارجية، فالخطر الخارجي أو العدو المشترك يقوى عادة من توحد الأفراد مع جماعتهم، حيث يلاحظ أن المواطنين إذا ما تعرض الوطن للخطر يزداد شعورهم مع هذا الوطن وبقضيته (جلال، ب–ت: 217)، فأفراد المجتمع قد لا يكونوا جميعاً على وفاق مع الإدارة السياسية التي تحكم المجتمع، وقد يضطروا لهجرة أوطانهم نتيجة كراهيتهم للنظام الحاكم، إلا أنه حين يتعرض الوطن لضغوط أو هجوم خارجي تتوحد المشاعر ويرتفع الحس الوطني، وذلك بسبب العاطفة التي تظل كامنة في نفوس الأفراد تجاه الوطن والاحساس بالملكية الذي يدعم هذه العاطفة، حين يشعرون أن ملكيتهم لمجتمعهم تتعرض للانتهاك، وهذا يشير إلى أن العاطفة تكون للمجتمع والوطن وليس لأشخاص بعينهم، حتى لو كانت عضوية الفرد في الجماعة أو المجتمع مفروضة أو مكتسبة (جلال، ب–ت: 219).

مما سبق يتضح أن الهُوية تتكون من خلال التعرف على مهارات ومقدرات وإمكانيات الذات على المستوى الفردي أولاً، أو تكوّن الشخصانية personalization بمعنى الأدوار الاجتماعية التي يمارسها الفرد في المجتمع. وترتبط هذه بالعديد من العمليات المعقدة في العلاقة مع الآخر، ابتداء من الجماعة الأولية (الأسرة) وتقييم وتمييز الرموز والشفرات المنطوقة والغير منطوقة عبر اللغة والتي تشكّل لتلك العلاقة، مروراً بعلاقات متداخلة مع الجماعات الأخرى خارج نطاق الأسرة، ومن

خلال تلك الرموز والشفرات يدرك بعض الفوارق بينه وبين من ينتمي إلى الجماعات الأخرى، وعندما تتجمع كل هذه العمليات لدى مجموع الأشخاص تتبلور الهُوية الجماعية أو المجتمعية.

الوطن والهُوية:

يعرّف مصطلح الوطن في معجم المصطلحات السياسية الدولية بأنه، هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها، وانتمائه إليها (أوراق عمل،1425هـ: 4).

ويعرّف الوطن motherland من خلال الوطنية patriotism كما يلي: الوطنية هي المشاعر والروابط الفطرية المكتسبة التي تجعل الإنسان يشعر بانتمائه إلى الوطن الذي استوطنه وتوطن فيه، ولا يغير من علاقة الوطنية التي تربط الإنسان بوطنه إقامته الاختيارية أو القسرية في مواطن أخرى غير وطنه الأصلي.

وقد ورد في القرآن الكريم التعبير عن الوطن بمصطلح الديار (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة 8)، كما أن الوطن الأصلي عند أهل الشرع يسمى بالأهل ووطن الفطرة والقرار، فيه يكون مولد الإنسان ومأهله ومنشأه (عمارة، 2001: 33-35).

يرى أحد الباحثين أن للمواطنة شروط يشير مدى توفرها إلى اعتبار ذلك مقياس على مدى اكتمال المواطنة أو اختزال بعض جوانبها. في هذا الإطار يعتبر اكتمال نمو الدولة ذاتها، بعداً أساسياً من أبعاد نمو المواطنة، بامتلاكها لثقافة الدولة التي تؤكد على المشاركة والديمقراطية، والمساواة أمام القانون، وتمتع المواطنين بكافة الحقوق السياسية، والقانونية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وهذا يعنى قيام عقد اجتماعي يؤكد على أن المواطنة في الأمة هي مصدر كل الحقوق والواجبات (ليلة، 2007: 89).

يضيف باحث آخر لمفهوم المواطنة، أنه لا تقوم المواطنة على أساسها الحضاري إلا بنهوض الدول وقيام السلطة مع الحرية وبساطة الاختيار في إطار العقد الاجتماعي الذي يؤلف بين الناس كافة في مجتمعاته. وإن تذوب الدولة في الحس الوجداني، وفي حالة ضعف سلطتها وعدم قدرتها على توفير العيش الكريم للمواطنين، يعيد التجمعات الإنسانية إلى حالاتها الاجتماعية البدائية، وتنزوي انتماءاتها إلى الخصوصيات التي تفّرق، لا العموميات التي تجمع بين الناس.

وأن تحكّم السلطة بتحديد معايير المواطنة ودرجاتها في الوجدان العام، بالانتماء إلى الحكومة وحماية أسباب قيامها، يضعّف دون شك من مساحات الولاء المتحضر إلى الدولة لما اختلط في الوعي العام للسلطة بالدولة، في مثل هذه الحالات يغدو ممكناً أن تنشأ توترات عنيفة في المجتمع لا بأزمة سياسية بل بمشكلة صغيرة بين شخصين في السوق(عمارة، 2001: 82-83).

من ناحية أخرى تمت مناقشـــة مفهوم المواطنة من خلال المنظور الليبرالي، حيث يُرى أن المواطنة طورت خيارات الفرد لتصـبح خياراته المطلقة مرجعاً لجميع خياراته الحياتية، حتى أصـبح ذلك هو جوهر مفهوم الليبرالية للمواطنة (هبة رؤوف عزت: المواطنة بين المثاليات الجماعية وأساطير الفردية).

في جانب آخر حول موضوع المواطنة والهُوية، يرى باحث آخر أن المواطنة انتساب جغرافي، والهُوية انتساب ثقافي، وقد ناقش العلاقة بينهما، حيث أن الهُوية لازمة للمواطنة لأن، المواطنين لابد لهم من نظام سياسي، وعلاقات اقتصادية واجتماعية، وقوانين تضبط هذه العلاقات، وكل هذا إنما ينبني على معتقدات وقيم ومعايير، أي على هُوية معينة، وأن الهُوية هي النظارة التي يرى من خلالها المواطنون ما هو مناسب أو غير مناسب، صالح أو غير صالح لوطنهم، وإذا اختلفت النظارات اختلف تقويم الناظرين. وإذا صح هذا فإن المواطنين مهما كان إخلاصهم لوطنهم وحرصهم على مصلحته، لا يمكن أن ينظروا إلى تلك المصلحة باعتبارهم مواطنين فقط، بل لابد أن ينظروا إليها بحسب هُوياتهم، ويرى أن فشل حل المشكلات إنما يحدث لأن الناس لا يجلسون بناء على انتمائهم الوطني فقط، مثلاً (نجلس كسودانيين فقط، أو سوريين فقط) وينسون انتماءاتهم الدينية والأيديولوجية (جعفر شيخ إدريس: المواطنة والهوية، http://www.jaafaridris.com/Arabic/aarticles/almuatana.htm).

أما في إطار علاقة الهُوية بالثقافة، أحياناً يمكن دعم الوطنية من خلال (النســـتولوجيا) الســياســية، أي إيجاد ذاكرة مثالية عن الماضـــي مع الرغبة في إحياءها، وأكثر وطنية نجحت على أســاس النســتولوجيا هي الحركة الصــهيونية (نجحت في بناء إســرائيل) جديدة على أســاس المثال التأريخي (مزروعي، 2001: 27)، وقد يضطر أهل بعض الثقافات أو الهُويات من إعادة الذاكرة في المثال التأريخي، من أجل المحافظة على البقاء في مجتمع يتكاثر فيه الاستقطاب السياسي والميول إلى التمحور القبلي، كما يمكن أيضاً حفظها من خلال ذاكرة سلبية عن الماضي خصوصاً الإحساس بالمأســاة بســبب القهر (مزروعي، 2001: 27)، ويمكن النظر للنموذج الســوداني في منطقة أبيي الواقعة في الحدود بين جمهورية السودان وجمهورية جنوب السودان، حيث دفع استقطاب الحكومتين لأكبر قبيلتين في المنطقة المسـيرية الحُمر ودينكا نقوك، إلى الاسـتخدام التلقائي للنسـتولوجيا لإثبات الحق التأريخي في الوطن، رغم التعايش السلمي الذي ساد لعقود بين القبيلتين.

الهُوية والوطنية:

بناءً على المعاني التي أوردناها فيما سبق حول معنى الوطن Motherland، والمواطنة Citizenship، والوطنية Patriotism، يكون من الواضح ارتباط الوطنية بالمكان والزمان والجماعة الاجتماعية الثقافية التي يشعر المرء بارتباطه بها، وانتماءه إليها، وهذا يعنى أن هناك صلة وطيدة بين الهُوية والمعيشة والدولة، والمكان وأثر الجغرافية الطبيعية في النشاطات الاجتماعية والأمزجة والتقاليد، وخبرة العشيرة أو العشائر ككل في مجال جغرافي اجتماعي معين لديها أو لدى آخرين. حالة النشاط المجتمعي الموائم بعضه ببعضه الآخر (المنصور جعفر: هوية الأزمة في موضوع أزمة الهوية).

من هنا نرى أن الهُوية الوطنية ترتبط ارتباط وثيق بمجموعة العوامل الاجتماعية، والتي أدناها العلاقات على مستوى الأسرة، وأعلاها يمتد إلى كل من يشارك في التواجد في نفس الزمان والمكان، والاقتصادية والتي يرتبط انتعاشها أو تدنيها ارتباطاً عكسياً على مستوى الأفراد والدولة، والسياسية حيث أن الاستقرار والطمأنينة والأمن من العوامل التي تقوى ارتباط الأشخاص بالمكان.

من أهم العوامل لتحديد طبيعة المفاهيم الاجتماعية والسياسية العامة، ومفهوم الهُوية الوطنية، هو البحث في الواقع الاجتماعي الموجود فعلاً ومتحقق وعيني، حيث إن الفرد يوجد في مجتمع ما أولاً ثم يكتسب هُويته لاحقاً، بمعنى أن الهُوية ليست معطى مقدساً وثابتاً ونهائياً، وإنما هي معطى تأريخي في حالة استمرار وحركة دائمين، ولذلك فإن هذا المفهوم عرضة للمراجعة والنقد والتقدم لجعله أكثر فاعلية في أداء وظائفه الأساسية، في توحيد المجتمع وتحديد من ينتسبون إليه وتمييزهم عمن سواهم.

من ناحية أخرى فإنه ليس للهُوية قيمة في حد ذاتها أو فيما تخلق من شعور بالخصوصية، وإنما تنبع قيمتها مما يقدمه الإطار الذي تخلقه من فرص حقيقية للتقدم وتوسيع هامش المبادرة التأريخية للشعوب والجماعات التي تنطوي تحت شعارها، وهذا يعنى ضرورة البحث في ماهية مقومات الهُوية وصولاً إلى تحديد ما تفرضه(باقر جاسم محمد: الهوية الوطنية . محاولة في التعريف الوظيفي، http://www.balagh.com/islam/u10s34a5.htm).

العوامل المؤثرة على الهُوية الوطنية:

الهُوية الوطنية ليس شيء جامد، حيث أن لها قابلية التحول والتجدد والانزواء أو الاختفاء، هذا في إشارة إلى أنها تتعرض باستمرار إلى تأثير عوامل داخلية تكون في إطار المحيط الاجتماعي والثقافي والسياسي الداخلي، وعوامل أخرى خارجية، حيث أن الهُوية ليست معطى مقدساً وثابتاً

ونهائياً، وإنما هي معطى تأريخي في حالة استمرار وحركة دائمين، وهي دائمة التفاعل، الذي يمكن أن يؤثر سلباً أو إيجاباً على فاعليتها في أداء وظائفه الأساسية، في توحيد المجتمع أو تشتيته.

1- **التأثيرات الخارجية:**

سياسات بناء هُوية عولمية:

تختلف تعريفات العولمة بين المفكرين، ولكننا نركز هنا على جوانبها الثقافية بصورة أكثر تركيزاً، دون إهمال بقية مكوناتها. هذه التعريفات تتباين في دراجات قبولها، أو رفضها أو اعتبارها تشكل خطورة، عند تناولها من وجهة نظر المهتمين بشأن المجتمعات النامية والأقل نمواً، ففي الجانب الثقافي غالباً يستخدم مصطلح اختراق، حيث يرى البعض أن العولمة تعنى نفى الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي، والهيمنة وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك (الهوية الثقافية- والعولمة- 10- أطروحات محملة hekmah.org).

كذلك يرى البعض أنها هي الاستعمار بثوب جديد، ومن ناحية أخرى يرى البعض الآخر أنه عبر مخططات العولمة يتم تصدير صراعات الحضارة للنطق بما كان مسكوت عنه سلفاً وتحويل العالم إلى دوائر حضارية متجاورة، ومتصارعة على مستوى الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات، وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق (الهوية الثقافية- والعولمة-10- أطروحات محملة hekmah.org).

من خلال هذه الزاوية الواقعية للرؤية، يثار سؤال حول إشكالية الهُوية في عصر العولمة، يكشف عن المخاوف العميقة مما سوف تؤدى إليه تيارات العولمة، وتأثيراتها على الثقافات والهُويات الحضارية خصوصاً في المجتمعات غير الأوروبية، لذلك يتحدث بعض الباحثين عن ملامح خريطة الطريق المؤدية إلى مستقبل ثقافات وتقاليد، بل وهُويات الشعوب، التي سوف تُزال بأيدي تلك الشعوب نفسها عن طريق الصراعات المفتعلة المرتكزة على التنوع والتباين، مع ضعف واندثار العناصر المشتركة التي تربط بينها، تحت تراكمات الضغائن والأحقاد والغبن.

في إطار علاقة الهُوية بالعولمة، نجد أن سياسات الهُوية هي عبارة عن إجراء سياسي لادعاء حقوق الإنسان، هذا التعبير استعمل أساساً في السياسة الأمريكية منذ السبعينيات، ويرى أحد العلماء التحرريين الأمريكيين أن استناد السياسات على مفهوم الذات، كجزء مثلاً من تهميش مجموعة ثقافية معينة لتستوعب أنها خارج المنظومة العامة للمجتمع، يتسبب في خلق قاعدة مشتركة للموقف لدى أفرادها، لذا تعمل هذه المجموعة ضد أي فرص حقيقية لإنهاء هذا التهميش.

وتتضمن سياسات الهُوية مجموعة مختلفة من الأهداف، التي تعمل على تنمية اتجاهات المجموعات الانفصالية أو القومية لتقرير المصير، وتقرير المصير الوطني، حيث تم دعم هذه

الاتجاهات بالقانون الدولي، واعتراف ميثاق الأمم المتحدة به، وهذا يتسق مع ما أوردنا في موضع سابق حول تصدير الصراعات الإثنوثقافية وانشغال مجتمعات الهامش بمشاكلها (Identity Politics, http://en.wikipedia.org/wiki/Identity_Politics).

وفى ذات الاتجاه حول سياسات الهُوية، يرى هنتنجتون أن السياسة الكونية يعاد تشكيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية، مدفوعة بالتحديث، فالشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد. الانحيازيات التي تعتمد على الأيديولوجية والعلاقات مع القوى الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة، والحدود السياسية يعاد رسمها كي تتوافق مع الحدود الثقافية العرقية والدينية والحضارية (هنتنجتون، 1998: 203).

يتسق ما ذهب إليه هنتنجتون مع مقترح الورقة التي قدمت في مؤتمر كمبالة 1994م، إلغاء حدود جميع الدول الإفريقية وتقسيم القارة، حيث يقوم هذا المخطط على تقسيم القارة إلى ست دول بناء على مقاييس للتجانس الثقافي والديني (ممدوح الشيخ: الأفريقانية والعروبة – صراع دارفور في مرآة الهُوية، http://www.islamonline.net/arabic/arts/2004/)، حيث يرى أن المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات أصبحت هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية. في العالم الجديد، أصبحت الهُوية الثقافية هي العامل الرئيسي في تحديد صداقات دولة ما وعداواتها، والسؤال التقليدي إلى أي جانب أنت؟ حل محله سؤال من أنت؟ وعلى كل دولة أن تجد لهذا السؤال إجابة، وهذه الإجابة هي هُويتها الثقافية، وهي التي تحدد مكان الدول في السياسة العالمية.

كما أن التصعيد المتزايد للهُوية الثقافية على المستويات الدنيا يقوى بروزها على المستويات العليا، فالبروز المتزايد للهُوية الثقافية، هو نتيجة للتحديث الاجتماعي والاقتصادي على مستوى الفرد، حيث يخلق التشويش والاغتراب حاجة إلى هُويات أكثر معنى، حيث تدفع القدرات الزائدة وقوة المجتمعات غير الغربية إلى إعادة تنشيط الهُويات والثقافات الأصلية (هنتنجتون، 1998: 203–209).

وهكذا تتضح ملامح السياسة الدولية (العولمة) ودورها المهم في إعادة صيغة العلاقات القائمة على أساس الهُوية الثقافية، والمعتمدة على آليات الصرع الفطري بين البشر كأساس، ويحلل هنتنجتون كلية وجود الصراع، بأن الكراهية شيء إنساني، ولتعريف النفس ودفعها يحتاج البشر إلى أعداء منافسين في العمل، خصوصاً في الإنجاز، وفى السياسة، ومن الطبيعي ألا يثق مجتمع ما في المجتمعات المختلفة عنه، ومن لديهم القدرة على إلحاق الضرر بهم، بل يرونهم خطراً عليهم. حيث

أن حل صراع ما، أو اختفاء عدو ما، يولد قوى شخصية واجتماعية وسياسية، تؤدى إلى نشؤ صراعات جديدة، أو أعداء جدد. من خلال نزعة (نحن . هم) (المزروعي، 2001: 211).

من ناحية أخرى يرى فوكوياما، أنه في إطار عولمة السياسة والاقتصاد في الإطار الليبرالي، ومع التقدم في التصنيع والتعليم، يرتفع المستوى المعيشي والتعليمي ويصبح تفكير الناس علمياً، فتظهر المطالبات التي أهمها الاعتراف والتقدير، ويرى أن إدراك أهمية الرغبة في الاعتراف والتقدير باعتبارها محركاً للتأريخ، ينتج عنها إعادة تفسير الكثير من الظواهر التي كانت مألوفة لدينا، كالثقافة والدين، والعمل، والقومية، والحرب (فوكوياما، 1993: 14–15).

ومن هنا تنشأ عملية اعتزاز الأفراد بأنفسهم كأفراد على المستوى الشخصي، واعتزازهم بأنفسهم كأعضاء في مجتمع، واعتزاز المجتمع بنفسه، في حلقة مفرغة تعمل بقوة على تغذية الارتباط الداخلي أو القبلي، وتصبح عملية البحث عن العدو مستمرة حتى تجاه الأقارب في الفصائل المكونة للقبيلة الواحدة، ومع ازدياد العنف فإن القضايا المتنازع عليها تجنح إلى أن يعاد تحديدها بقوة من خلال (نحن ـــ هم)، ويظهر محرك ضغينة، حيث تتغذى المخاوف المتبادلة وعدم الثقة والضغائن بعضها على بعض.

وفى الحروب، تذوب الهُويات المتعددة العناصر، وتصبح الهُوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع والتي غالباً ما تحدد دائماً بالدين هي الهُوية السائدة (فوكوياما، 1993: 431–433)، ويعزز هيجل الزعم الأخير حيث يرى أن الحرب تلعب دوراً مهماً، حيث أنه بالحرب يكون على الدولة أن تغير نظامها الرتيب حتى لا تتجمد، إنها ليست علاقة كراهية إنسان لإنسان، وإنما هي شروط للصحة المعنوية للشعوب، مثلها (مثل الرياح التي تحفظ مياه البحيرات حتى لا تأسن)، وتأريخ البشرية هو جدلية منطقية لأنه تأريخ فاجع، حيث تتواجه الشعوب، وباستمرار هناك موت وصيرورة، وهكذا تستكمل روح العالم تطورها (هيجل، 1970: 48–49).

لماذا الآن ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين يثور موضوع الهُوية في كل مكان؟ هذا السؤال يجيب عليه بعض الباحثين، بأن هناك أسباب متعددة سياسية واقتصادية وثقافية، ولعل سقوط الاتحاد السوفياتي وبلاد الكتلة الاشتراكية هو أول هذه الأسباب، حيث انفجرت نزاعات الهُوية المكتومة، وعبّرت عن نفسها ثقافياً وسياسياً، ونادت الجماعات العرقية المختلفة بحقها في الحفاظ على خصوصيتها الثقافية، وبعضها طالبت بالانفصال عن الدولة الأم، وبحقها في الحكم الذاتي، وقد تحقق ذلك في حالات متعددة بالتفاوض السلمي أحياناً، وبالصراع الدموي والحرب الأهلية أحياناً أخرى.

من ناحية أخرى رغم محاولات المخطط الأمريكيين في تحقيق أهداف استراتيجية بصهر هُويات وجنسيات متعدد في الوعاء الأمريكي (بوتقة الانصهار Melting pot)، إلا أنها سقطت عبر الزمن وظهر بديلاً عنها، ما يطلق عليه الثقافات المتعددة multi-cultures، حيث أن كل جماعة عرقية عادت للبحث عن جذورها الثقافية لأسباب متنوعة، ولعل أبرز ما دفعها لذلك هو ثورة الأفارقة الأمريكيين، وانعكست هذه السياسة الثقافية الجديدة على مفاهيم المواطنة والهُوية، وفوق ذلك طالب ممثلي هذه الثقافات المتعددة بأن يكون لتأريخ أقوامهم نصيب عادل في البحث والتدريس (يس، 2006: 152–155).

2- التأثيرات الداخلية على الهُوية الوطنية:

يحتل السودان القطاع الأكبر من المساحات التي تضم حوض النيل وروافده المنحدرة من الهضبة الإثيوبية، وبذلك يكون النيل من أهم العوامل الجاذبة للسكان باعتبار أنه يستقطب الحياة ويمكّن لها، من ناحية أخرى يتوغل السودان في قلب الأرض الأفريقية، الأمر الذي يجعله يوصف بأنه الجسر إلى القارة الأفريقية (الشامي، 1972: 26)، ومعبر وقبلة عبر التأريخ للعديد من الأقوام الذين وجدوا فيه مستقر ومتاع.

وعلى هذا النحو قدم أحد الباحثين تصوراً للتنوع الثقافي في السودان، حيث يرى أنه منذ فجر التأريخ لم يكن السودان المعروف اليوم جغرافياً يمثل كياناً سياسياً أو ثقافياً موحداً قبل دخول العرب، فقد كانت تتوزع فيه أعراق متنوعة وعقائد وأديان مختلفة وممالك، ففي الشمال حيث يعيش النوبيون كانت تنتشر المسيحية الأرثوذكسية كعقيدة واللغة النوبية بلهجاتها المختلفة كلغة للسياسة والثقافة والتخاطب، أما في شرق السودان فتعيش قبائل البجة وهي من الأقوام الحامية، ولها لغة خاصة وثقافة منفصلة.

ومع اتجاهنا جنوباً نجد القبائل الزنجية بسحنتها المميزة ولغاتها الخاصة، وكذلك الحال في غرب السودان. وقد أحدث دخول العرب السودان انقلاباً هائلاً في هُوية هذه المنطقة، إذ ولدت مع دخولهم الهُوية السودانية الجامعة لتلك الأقوام والقبائل المختلفة، حيث أصبح الإسلام هو الوعاء الرئيسي الجامع لمعظم تلك الشعوب، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والتخاطب بين القبائل المختلفة، فكونت بذلك عاملا توحيدياً على الصعيد الديني والسياسي والاجتماعي.

حيث أن اتفاقية البقط سنة 652 للهجرة، مكّنت للنفوذ العربي، من خلال تحالف العبدلاب العربية مع الفونج الزنجية، فقد شكل هذا التحالف ميلاد الهُوية السودانية الحديثة بشقيها العربي الزنجي، وقد غذّت الدولة المهدية الشق العربي في الثقافة السودانية، وفى تلك الفترة ولد السودان الذي نعرفه اليوم بملامحه المعروفة، وظل الوضع كذلك في فترة الاستعمار البريطاني، وبعد تأسيس الأحزاب

السودانية الكبرى قُبيل الاستقلال، بدأ سؤال الهُوية يطرح نفسه وبقوة من نحن؟ (مروان الجبوري: السودانية، صراع ما بعد السلام، 2005م، http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/03/).

السودان قطر يتمتع بمساحات شاسعة، وزاخر بمئات الثقافات ومئات اللغات، حيث يعتبر ملتقى تلاقح ثقافي اجتماعي، مع المحافظة النسبية على جوهر الثقافة الأصلي لدى المجموعات التي تسكنه، ورغم المقولات بأن هذا التلاقح كوّن قواسم ثقافية وقيمية مشتركة بين أهل السودان، إلا أن السياسة التي انتهجتها حكومة الاستعمار البريطاني على السودان، وعلى نفس منهجها سارت الحكومات الوطنية منذ الاستقلال، لعبت دوراً فاعلاً في تشكيل العلاقات بين السودانيين، فأصبح التنوع الثقافي والاجتماعي، عوامل صراعية حول موضوعات متنوعة من أهمها موضوع الهُوية.

فقد بنى الاستعمار البريطاني نظريته في السودان على أساس مفاهيم العرقية، مستفيداً من بعض الاختلافات الثقافية والاجتماعية للسكان، لخلق نقاط الضعف في شبكة العلاقات بين سكان السودان، لتتمزق الواحدة تلو الأخرى حسب مواقيت زمنية محددة عبر السنين، حيث إن المشكلة الأساسية الناجمة عن التعددية الإثنية تعتبر هي الأوضح في السودان، حيث يصنف الإنسان في السودان على الأساس العرقي والإثني أولاً، ثم تأتى بقية التصنيفات القائمة على أساس الدين أو الوضع الاقتصادي.

ويعتبر موضوع التعددية والتنوع الإثني والثقافي والعرقي من المحاور المهمة في النقاش عندما يحاول الكتاب أن يحددوا هُوية السودان كقطر، وهُوية السودانيين كأعضاء في قارة تتجاذبها تيارات مختلفة، رغم أنه ليس هناك تناقض بين العروبة والإفريقية، حيث أن العروبة رابطة ثقافية حضارية لا عنصرية، والإفريقية رابطة ثقافية حضارية وجغرافية سياسية لا عنصرية، تجمع بين سكان القارة على اختلاف أجناسهم.

لذلك فإن العروبة بالمفهوم العرقي إذا جاز القول قد لا تنطبق على كثير من الجماعات التي تدعى العروبة في السودان، فعلى الرغم من الحديث عن الشمال العربي، إلا أن أعداد مقدرة من سكان السودان الشمالي يتحدثون بلهجاتهم المحلية مثل النوبة والنوباويين والبجة، كما أن اللغة العربية توجد أيضاً في جنوب البلاد قبل الانفصال، على الرغم من المفهوم السائد في الجنوب بأنه (غير عربي) (مكاوي،2003: 41).

من ناحية أخرى يؤكد الأنثروبولوجي مارفن هاريس أن تحديد هُوية المولود لزوجين من عرقين مختلفين عملية ثقافية، ووصفها بأنها عملية عبثية واعتباطية، حيث أنه من الصعوبة بمكان تحديد عرقيات سكان شمال إفريقيا وجنوبها والشرق الأوسط، وشرق أوروبا، وغرب آسيا والهند وسيلان

وإندونيسيا وغينيا الجديدة والعالم الجديد، ويعزي ذلك إلى أن هذه الأقاليم استوطنتها مجموعات بشرية ذات صفات خَلقية لا تماثل الصورة النمطية المتصورة للأعراق التي ينتظر وجودها في الإقليم، حيث أنه هناك تداخل في مكونات ملامح الشخص الواحد، وهذه سمة بارزة في الأقاليم العديدة التي ذكرها، وقد أثبتت أحدث الدراسات في علم الوراثة ما كان قد ذكره مارفن هاريس من أن نقاء الأعراق خرافة كبرى، وإن كثيرين من البيض قد زُهِلوا عندما أثبتت شفراتهم الوراثية أن دماء إفريقية وآسيوية تسبح في شرايينهم وأوردتهم جنباً إلى جنب مع الدماء الأوروبية (الخضر هارون: أزمة هوية أم عقبات ملازمة لميلاد الدولة القطرية؟ 2006م، http://www.kefaya.org/06znet/).

وعلى رغم مما سبق ذكره، استطاع الاستعمار البريطاني في السودان أن يصنع فاصلاً جغرافياً وهمياً مستخدماً خط العرض 12 درجة، حيث يسكن معظم السودانيون ذوي البشرة السوداء جنوب هذا الخط، وتتوفر الثروات الطبيعية الاستراتيجية، وتضم هذه المساحة جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان وجنوب دارفور والمناطق المعروفة الآن بجمهورية جنوب السودان، ومن خلال هذا الفاصل الجغرافي صنع البريطانيين في السودان فواصل أخرى ثقافية واجتماعية ودينية تقوم على مبدأ تضاد الثنائيات.

وقد استعانوا في ذلك بقانون الجوازات وقانون المناطق المقفولة لعام 1922م، وقد استعمل هذا القانون فيما بعد لمنع الشماليين من دخول الجنوب، كما استعمل في نفس الوقت لمنع الجنوبيين من السفر للشمال (خالد، 2005: 47)، ومنذ ذلك الوقت ظهر مصطلح جنوب وشمال، والذي لم يكن السودانيون يستخدمونه كدالة لتصنيف أو تعريف الأشخاص، وعليه أصبح السودانيون قسمين عرب شماليين وأفارقة أو زنوج جنوبيين كدالة على هُوية عرقية، كما هدف القانون إلى إيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال حيث كانوا يطلبون العمل ومستويات في المعاش أعلى (خالد، 2005: 49 – 50).

في إطار تحليل كيفية إنتاج هذه الهُوية الجديدة للسودانيين، نعتقد أن طوال ما يزيد على ثلاثون عاماً من 1922م إلى 1956م، قام المستعمرين البريطانيين بحبس السودانيين ذوي البشرة السوداء في محميات بشرية، وأجريت عليهم التجارب الأنثروبولوجية التطبيقية، حيث تم تلقيح الأجيال الجديدة بفكرة ثقافية ومضامين هُوية جديدة مستمدة من المعطيات القيمية والمعتقدات والأنماط الثقافية السائدة في هذا النطاق الاجتماعي مثل اللون واللغة والدين القدرات القتالية، وتحويلها إلى مفاهيم (الهُوية المستضعفة)، وضرورة دخولها في أزمات أو صراعات مع الآخر وهو

العدو الموجود في شمال السودان من أجل أن تبقى وتحيا وتستمر، كذلك استفاد الاستعمار من المعطيات الثقافية للسودانيين الذين يسكنون الشمال، ومكّن من تعميق فكرة الاستعباد والاستبعاد.

ويعرّف الاستبعاد الاجتماعي بأن الفرد يعد مستبعداً اجتماعياً إذا كان لا يشارك في الأنشطة الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه بسب الحرمان الاجتماعي والإبعاد إلى هامش المجتمع. فالحرمان من حقوق المواطنة يعد شكلاً مهماً من أشكال الاستبعاد، بحيث يتم منع الأفراد بشكل منهجي من التمتع الكامل بمختلف الحقوق والفرص والموارد، ويترك هذا التعريف المجال مفتوحاً لاستيعاب الأنشطة التي تعد رئيسية مثل: الاستهلاك، الإنتاج، الرعاية الصحية، المشاركة السياسية، التفاعل الاجتماعي. وقد أضاف توني اتكنسون T. Atkinson السؤال عن الفعل، من الذي يقوم بالاستبعاد؟ وما إذا كان الفرد المستبعد يود أن يكون مندمجاً أم لا؟ (هيلنر، 2007: 70–71) ونرى أنه قد يكون بعض السودانيين من ذوي الثقافات غير العربية، لديهم شعور بأن أصحاب الثقافة العربية يسعون أو أنهم بالفعل يستبعدونهم اجتماعياً، أو يمارسون عليهم سياسة الاستيعاب الثقافي، ليتم تذويب ثقافاتهم في الثقافة العربية، ولا تحقق لهم فرص التعبير عن الذات والتمتع بحقوق المواطنة، لذلك يلجأ الكثيرين إلى تكوين روابط وجمعيات قبلية وإقليمية لإثبات الذات ومحاولة مقاومة تيارات الاستبعاد الاجتماعي. وفي جانب آخر يوضح بهاء الدين مكاوي موضوع الاستيعاب حيث يقول: يعتبر الاستيعاب الثقافي خياراً متطرفاً لأنه لا يعترف بخصوصية الآخر ويعمل على إلغاءه، وبالتالي يغض الطرف عن حقوقه ومطالبه، ويعتبرها غير مشروعة، واستناداً إلى ذلك، فإنه يسعى لدمجه واستيعابه في إطار ثقافة الأغلبية الحاكمة بكافة الوسائل المتاحة ويشمل ذلك استخدام القوة القهرية (مكاوي، 2003: 41).

وهكذا تكونت الهُوية الصراعية في السودان، وأصبح مفهوم الهُوية كبؤرة صراعية، مفهوم مشترك بين أطراف متعددة متصارعة، يحرص كل طرف منها على الادعاء بأنه وحده الذي يمثل حقيقة الهُوية، ومن خلال الاتفاق على أهمية الهُوية كموضوع للصراع يتم استبعاد غير المشاركين، واعتبارهم خارج المجال الثقافي الحق برمته، أو خونه. بالتالي يستشعر كل طرف من أطراف الصراع السائد ضرورة التصدي كمدافع عن الحقيقة، بما يشترك فيه مع خصومه الذين يقول عنهم أنهم يشوهونها أو يدمرونها، ويدمرون معها مستقبل الوطن، أو العقيدة، أو الشعب أو المقهورين، وما إلى ذلك (يونس، 1999: 56).

وهكذا أصبحت الهُوية بؤرة صراعية في السودان وفقاً لثنائيات مترادفة في المعنى متضادة في الفعل السياسي، مثل السودان العربي والسودان الإفريقي، الشمال العربي، والجنوب الإفريقي،

الشمالي العربي المسلم، والجنوبي الإفريقي المسيحي وقد ظهرت مفاهيم الجهاد في سبيل الله في حرب الجنوب في الفترة التي حكمت فيها الحركة الإسلامية السودان بواجهتها السياسية المؤتمر الوطني (1989م ـــ 2019م). وتشكلت العقلية السياسية التي أثرت بصورة أو بأخرى على العقلية الاجتماعية بخطورة الهُوية الإفريقية على الهُوية العربية، والعكس. هذه التعقيدات تظهر إلى أي مدى أن عملية التعريف بالهُوية في السودان تجزر هكذا كقيم تقليدية، المفهوم العميق بحساسيته (Francis Deng,1973: 1-2).

وبما أن الصراع قد دار أصلاً حول هُوية سودانية موحدة لألوان الطيف الثقافي والديني واللغوي والعرقي المميز للشعب السوداني، فقد كان طبيعياً أن تلجأ الأطراف المتنازعة سواء كان بوعي نظري أم بغير ذلك، إلى معيار ما محدد للقسمات الحاسمة والغالبة لتلك الهُوية.

وعلى صعيد الممارسة يلزم الوقوف عند اتجاهين يكمل أحدهما الآخر:

أ. الافتراض بأن السودانيين شخصية واحدة، هُوية واحدة، ومن ثم ثقافة واحدة يطلق عليها بملء الفم الثقافة السودانية.

ب. وجود معيار محدد للقسمات والملامح الغالبة لهذه الهُوية وثقافتها الحاملة لها والمعبرة عنها، وهو هنا المكون العربي الإسلامي.

وكلا الافتراضين يلويان عنق الحقيقة، ويقفزان على الواقع، ويختزلانه. ومع صحة القول بأن تمازجاً وتجانساً قد حدث إلى حد ما، وكبير في بعض الحالات بين مختلف المجموعات العرقية والثقافية المكونة للمجتمع السوداني إلا أن الحديث عن (بوتقة الانصهار) ليس سوى وهماً لأيديولوجيات الهيمنة، بينما بقيت قسمات التمايز والاختلاف هي الغالبة وهي التي تظل تدور حولها الحرب الأهلية منذ قبل الاستقلال (عبد الجبار عبد الله: السودان في متاهة من الهوية إلى الوحدة أو وضع العربة أمام الحصان، http://snrphiladelphia.net).

فرغم التمازج العرقي والثقافي الذي حدث للأقوام الذين تواجدوا في المنطقة الجغرافية التي تعرف الآن بالسودان، وإثبات البحوث الاجتماعية والأنثروبولوجية، بالإضافة إلى البحوث المعملية حول دراسة الجينات الوراثية والنقاء العرقي، بعدم وجود عرق نقي، إلا أن السودانيون خصوصاً الذين ينتمون إلى الشمال العربي المسلم يدّعون بما يفيد معناه أنهم عرباً خلّصاً، ويشكلون الأغلبية، ويعتبر هذا الشعور أحد معضلات الصراع حول الهُوية العرقية والثقافية والوطنية السودانية.

يناقش الباقر العفيف هذه المسألة من خلال استخدام مصطلح التماهي والذي يعني تتضاءل الذات المتماهية أمام هيمنة النموذج، حيث أن السودانيون المعروفون بالشماليين الذين يتحدثون

باللغة العربية كلغة وحيدة، وينظرون بل يعتبرون أنفسهم عرب، متماهين مع شخصية الأب العربي واللون الأبيض، وتهفو أفئدتهم إلى الانتماء للهُوية العربية رغم الدماء الإفريقية التي تجرى في شرايينهم، فينظرون إلى العرب على أنهم النموذج الواجب التماهي معه، ومن ناحية أخرى ينظرون إلى (الأم) السوداء نظرة دونية مشحونة بالتمنيات لو لم تكن تلك هي الأم، وكأنها وصمة سيئة، لذلك تكمن في نفوسهم كراهية غير معلومة الُهوية والمصدر تجاه كل من هو أسود أو يذكرهم بالدماء السوداء التي يحيون بها (الباقر، 2006: 3).

ويصف أحد الباحثين هذا النوع من العلاقات بأنها إلغاء الذات أمام الآخر، حيث أنه في هذا الوضع تفقد فيه الجماعة قدرتها على الفحص عن الآخر على نحو عقلاني ونقدي، فهي تلغى نفسها أمامه وتتماثل معه تماثلاً تاماً، وترى فيه صورة كل شيء، وتوجه نقداً لاذعاً إلى الجماعة الذاتية، أحياناً إلى درجة التدمير الذاتي أي فقدان نواة الهُوية الذاتية (ارهيد دايفيد: نحن هنا وهم هناك – وجها الهوية الجماعية، مقدمة لأسبوع فسيفساء إسرائيلية، http://cms.educatio.gov.il/).

من ناحية أخرى يرى بونا ملوال أنه إذا نظرنا إلى تركيبة الأمة السودانية فإننا يمكن أن نلاحظ الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها كل من يحاول أن يقسم السودانيين إلى أقسام محددة على أساس عنصري، وفى الحقيقة لا يوجد في السودان عرب وأفارقة، بل يوجد خليط متجانس من العرب والأفارقة، نتج عنه نوع لا يريد السودانيون أن يعرّفوه بأنه عربي إفريقي، أو زنجي إفريقي، ومن ثم استقر رأينا أن نسمى أنفسنا سودانيين، فقط، وليس هناك أي مصطلح غير كلمة (سوداني) يمكن أن نشير بها إلى هذا الخليط المتلائم في هذه الأمة (بونا ملوال: صحيفة السوداني الدولة والهوية الجامعة، العدد 555، 2007-07-04م، http://www.alsudani.info/index.).

من ناحية أخرى يعرف الزعيم الراحل الدكتور جون قرنق رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان (السودانوية) بأنها البوتقة التي ستأتي نتيجة انصهار التنوع التأريخي، أي التركيبة القديمة للسكان الأصليين منذ ما قبل التأريخ، والتنوع المعاصر، وهو التنوع المعاصر بتركيبته ـــ السودان الحالي . دون أن يهمل المؤثرات الخارجية والتداخل الثقافي العالمي.

وقد ذكر الدكتور منصور خالد في ذلك: أن القاع الاجتماعي للوطنية السودانية ليس هو الاستعراب أو التزنج، وإنما هو خليط من هذا وذاك، وأشار إليه بالسودانوية. ويرى منصور خالد أن العلاج الناجز لمسألة الهُوية السودانية هو المواطنة ويقول في ذلك: السودانيون ليسوا قومية واحدة بالمفهوم الأنثروبولوجي أو السلالي، وإنما هم شعب واحد بالمفهوم السياسي تمازجت عناصره في

فضـــاء جغرافي محدد، وأفق تأريخي معين، ولكل واحد منها مِزاج. وفى القانون ترتكز المواطنة على عمدتين، حق الدم، وحق الأرض.

فالخيار أمام مثل هذه المجموعات هو إما الانتماء للوطن انتماء مباشـر عن طريق المواطنة ودســتورها، أو الانتماء له انتماء غير مباشــر عن طريق هُويتها الصــغرى، دينية كان أم عرقية أو ثقافية. الانتماء الأخير وصـفة لا تنجم منها إلا الكارثة، لأن التحصـن بالهُويات الصـغرى يفضـي بالضـرورة إلى إقصـاء الآخر الذي لا ينتمي لتلك الهُوية، وإقصـاء الآخر يقود بالضـرورة أيضـاً إلى تقوقعه في هُويته المحلية المحدودة. وربما إلى إنكار كل ما هو مشـرق في ثقافة من أقصـاه وسـعى للهيمنة عليه.

كما تنطلق السودانوية بالاعتراف بواقع الأديان السماوية والتقاليد الإفريقية السودانية وأنه يجب التعامل معها كواقع حياة، وأن يتم التعامل مع معتنقيها كأقوام أصيلة في البلاد وليس كأقليات لا يعتد بها ولا بدياناتها (**عاطف عبد الله قسم السيد: ثقافة أم مثاقفة: السودان وحرب الهويات**، http://www.arkamani.org/vol_3/anthropology).

النتائج:

أن الأســرة هي أهم عنصــر من العناصــر المكونة للبناء الاجتماعي، حيث أنه منها يتكون المجتمع، وفيها تتم عمليات صـــناعة القيم والمعايير والقواعد والمقاييس التي تقيس دقة التزام الأفراد المنتمين إليها، وهي لا تزود المجتمع بأعضاء جدد فحسب، بل إن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها، تعمل على تشكيل وجدان وشخصية وهُوية أفرادها والذين يصبحون أعضاء في المجتمع الكبير وهم مزودين بكل أساليب السلوك والمزاج والتفضيلات والاتجاهات ومهارات التكيف والتواصل الاجتماعي، التي تصبح فيما بعد السمة المميزة للمجتمع.

كذلك تلعب الأســرة الدور الرئيس في تشــكيل الذات الجماعية وفهم البيئة المحيطة وكيفية التعامل معها، وهي التي تنمي الأفكار وتوفر المعلومات حول كيف ولماذا تفتخر الجماعة بنفســها، أي أنها تعمل على تشـــكُّل الهُوية الثقافية والإثنية وتمنح أفرادها المقدرة على التمييز بينها وبين الهُويات الأخرى، كما تمنحهم الرموز التي تجعلهم يحددون كيف ولماذا ومتى يحبون أو يكرهون أو يحتقرون الآخرين خارج نطاق الجماعة.

إلى جانب ذلك هناك عمليات (نفس اجتماعية) socio-psycho متداخلة تلعب دوراً مهماً في التمييز بين العلاقات الخارجية (خارج إطار الأسرة)، والعلاقات الداخلية (في إطار الأسرة)، ومن خلال التفاعلات الجادة والغير جادة مثل تفاعلات الحب، أو البغض، الغيرة، الارتباط، أو النفور،

التي تعمل بصورة خفية في تكوّن مفهوم الذات والذات الجماعية، من خلال الشعور بأن مجموعتنا تختلف عن المجموعات الأخرى، وهذا يدعى مسافة اجتماعية social distance، حيث تعنى المسافة الاجتماعية كرهاً وتجنباً من ناحية، وودية وتماس مباشر من ناحية أخرى، تعنى تعاون co-operation أو تنافس competition وصراع (Young, 1946: 216).

كما وضح مما سبق أن الشخص يستوعب ذاته من خلال الأدوار التي يقوم بها، والتي تؤدى نحوه من المحيطين به (الأسرة ـــــ الجماعة ـــــ القبيلة) ومن ثم من خلال تعرفه على ذاته consciousness of self، والتحقق من قدراته ومهاراته الذاتية، يميز هويته الذاتية، ومن خلال تعرفّه على علاقته بالجماعة واستيعابه لمعاييرها ومعتقداتها وذوبانه فيها، والتعرّف على قدراتها ومهاراتها، يدرك ذاته الجماعية، ومن ثم يدرك الهُوية الجماعية، وهُويته من خلال الجماعة.

ويكون للعمق الوجداني والنفساني الأهمية الجوهرية في تكون ما يمكن أن نسميه الأنا الجماعية، حيث أن العاطفة والحب الذي ينشأ بين الفرد والجماعة، والذي قد تكون له أسبابه الموضوعية أو غير الموضوعية، هذا الحب يجعل الفرد يمنح الجماعة درجة من التقديس، هذا الأمر يجعل الجماعة عظيمة في نفوس أعضائها بما فيها من رموز تمكن من التعرّف عليها أو تكوينها في أذهانهم، وبالتالي تصبح محل اعتزاز وافتخار، حيث يشعر الفرد في دخيلة نفسه بنوع من العظمة والقدسية التي يرسمها للجماعة التي ينتمي إليها، وكلما لبّت الجماعة للفرد هذا الاحساس، كلما زاد ولاءه لها والذي قد يصل إلى حد الزود والدفاع عنها ولو بالروح.

ومن منطلق أن الأسرة هي نقطة الانطلاق الأولى التي تتكون فيها الذات والهُوية الفردية والجماعية، فإن من مجموع الأسر يتكون المجتمع، وهنا تخضع عمليات تكوين الذات والهُوية إلى التعديل وإعادة التشكيل والحذف والإضافة، حتى تتشكّل الهُوية المجتمعية بكل معطياتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويحرص كل مجتمع على التميز بسمات تجعل أفراده يشعرون بأنهم يتميزون على الآخرين في إطار (نحن . هم).

ونعتقد أن الحاجة إلى الشعور بالتمييز هي مسألة فطرية لدى البشر، لذلك تحدث عمليات معقدة من تجميع لكل الامكانيات والممتلكات الفكرية والثقافية المادية والمعنوية، وإنتاج الأساطير التي تحكي عن أمجاد الأجداد أو الجد الذي تنحدر منه الجماعة، وكلما ارتفع معدل التعبئة النفسانية لأفراد المجتمع باتجاه الافتخار بالذات، كلما نَمت حالة الاستعلاء الإثنوثقافي والاجتماعي، بحيث تصبح النظرة للمجتمعات المحيطة نظرة دونية، وإذا توفرت القوة البشرية والاقتصادية لدى الجماعة،

تصبح هذه القوة حافزاً لتنمية القدرات القتالية (حالة شرق السودان 2020م)، وبذلك غالباً ما تطغى أو تبغي على الجماعات الأخرى التي ترى أنها أضعف منها.

كذلك تلعب الأسرة الدور الرئيس إلى جانب قنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى، في إكساب أفرادها الاتجاهات والتوجهات نحو الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن ثم تلعب دوراً في تشـــكُّل الهُوية المجتمعية والوطنية، حيث ينقل المجتمع عبر الأســـرة والقنوات الأخرى ثقافته السياسية من جيل إلى آخر، وتدريسهم كيفية التصرف مع القابضين على السلطة السياسية.

الحالة السودانية نجد فيها أن السودان وبحكم موقعة الجغرافي المميز، يتكون من مجموعات من المجتمعات المتنوعة والمتمايزة ثقافياً وإثنياً، إلا أنه منها من تجمع بينهم المشـــتركات الثقافية، ومنها من تتباين في كثير من عناصرها، وقد قدر لكل مجموعات بينها مشتركات أن تستوطن جهة جغرافية معينة، وهذا لا يعني أن مثل هذه المجموعات ليس بينها تمايز وتفاخر بالذات والهُوية الإثنوثقافية، إلا أن هذه المشتركات كانت الأساس التقليدي للمواطنة في المجتمعات التقليدية، حيث اســـتطاعت هذه المجتمعات أن تنتج مجموعات من القواعد والأعراف التي تنظم علاقات المواطنة القائمة على الحقوق والواجبات على مستوى الفرد والجماعة.

وتعتبر القبيلة هي العنصـــر الرئيس للمكون الاجتماعي الســـوداني، هذا الوضـــع الطبيعي تأريخياً لم يتأثر بنظام الدولة عند دخول الاستعمار التركي 1820م والبريطاني 1899م إلى السودان، حيث لم ترى كِلا القوتين الاستعماريتين ضرورة في تذويب النظم القَبَليّة في نظام الدولة، بل استفادت منه في جمع الضرائب على سبيل المثال وبعض الأمور الأخرى الإدارية القاعدية.

كذلك لم تســـتطع الحكومات الوطنية منذ اســـتقلال الســـودان عام 1956م وحتى الآن أن تســـتوعب النظم القَبَليّة والتنوع الثقافي في نظام الدولة الحديثة، ونعتقد أن الســـبب لا يكمن في قدرة النظم القَبَليّة على البقاء، وإنما لأن هذه الحكومات ســـعت للمحافظة عليها للاســـتفادة منها ليس في عمليات جمع الضرائب فحسب، بل توظيفها في المنافسة في الانتخابات السياسية والبقاء في السلطة، لذلك لم يتم تطبيق المواطنة على أساس الحقوق التي يجب أن توفرها حكومة الدولة من أمن واستقرار وصـــحة وتعليم إلى آخر القائمة، والواجبات التي يجب على أفراد المجتمع كمواطنين الالتزام بها تجاه المجتمع والدولة، بل يتم التكريس للولاء والالتزام للحكومات والتنظيمات السياسية الحزبية.

بالتالي لم يكن بالإمكان ميلاد هُوية وطنية حقيقية، حيث أن الهُوية الوطنية خليط معقد من الثقافة بمكوناتها المتشـعبة والمعقدة، إلى جانب عوامل الرضـاء المعيشـي على المسـتوى الاقتصـادي

والاجتماعي، بالإضافة إلى استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية، وتوفر الحقوق المدنية الدستورية التي تكفل لأفراد المجتمع كمواطنين الشعور بالحق وبإمكانية المشاركة الايجابية.

حيث أن الهُوية الوطنية هي خليط أكثر تعقيداً من الهُوية الثقافية، حيث أن العوامل التي تلعب دوراً محورياً في تكوين وتشكيل الهُوية الوطنية هي، مجموع الثقافة بمكوناتها المتشعبة والمعقدة، إلى جانب عامل الرضاء المعيشي على المستوى الاقتصادي، بالإضافة إلى استقرار الأوضاع السياسية وتوفر الحقوق المدنية والدستورية التي تكفل للمواطن الشعور بالحق، وبإمكانية المشاركة الإيجابية أي تحقق المواطنة.

وفي ظل المنهج الذي توارثته واتبعته الحكومات الوطنية التي توالت على حكم السودان في إدارة التنوع الإثنوثقافي السوداني، ومع التطورات والسياسات العالمية للاتجاه نحو العولمة لبناء هُوية عولمية، أصبحت الأسرة غير قادرة على انتاج الهُوية الوطنية كأحد المعايير القيمية التي من المفترض أن تزود بها أفرادها، ومع عدم الاستقرار الأمني والمعيشي على المستوى المحلي وسرعة التطورات التكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات، بدأت الأسرة تفقد دورها المهم في التنشئة الاجتماعية وتربية الأبناء، وبالتالي بدأت تفقد القدرة على المحافظة على الهُوية الأسرية إلى درجة ما، وقدرتها على دعم تنمية الهُوية والوطنية.

حيث أن السياسة العولمية تجاه الهُوية الوطنية للجماعات المحلية، تعمل على انتاج ونشر وتمكين أفكار مثل التهميش، حقوق الإنسان، حق تقرير المصير، الحكم الذاتي، حقوق الأقليات، حيث يقوم الجانب التنفيذي لسياسات العولمة بتصدير وتصعيد الانتماءات الإثنوثقافية بين المجموعات القبلية المختلفة، أو بينها وبين حكوماتها مستفيدة من المعطيات النفسانية والمادية لهذه المجموعات.

كذلك يمكن أن نضيف استفهام حول دور التعليم في المساعدة على تقوية وتماسك الهُوية الوطنية، وهل ما يقدم في التعليم العام في المدارس، والتعليم العالي بالجامعات السودانية يصب في هذا الاتجاه؟ حيث أن مناهج مدارس الأساس والثانوي في السودان لا توجد بها مقررات للتربية الوطنية كمقررات متخصصة لهذا الغرض، كما أن المقررات الحالية، بل وتأريخ السودان المكتوب نفسه لا يستوعب في مضمونه التعددية الثقافية، مما يجعل التعليم في السودان لا يلعب الدور المنوط به لخلق قاعدة لهُوية وطنية مشتركة إلى جانب دوره الأكاديمي، وهكذا يصل الطلاب إلى الجامعات وهم يحملون هُوياتهم القبلية أو الجهوية، ثم تلعب التوترات السياسية وعدم العدالة الاجتماعية أدواراً مهمة في تقوية وتعزيز هذه الهُويات الجزئية.

وأمام فشل الحكومات الوطنية في إدارة التنوع والصراع، تجد الأسرة نفسها تقف على مفترق الطريق بين تزكية الهُوية الوطنية، أو تزكية الهُوية الإثنوثقافية، وكلما فشلت الحكومات في بسط الأمن والاستقرار المجتمعي وغرقت في التجاذبات والاستقطابات الإقليمية والدولية العولمية، وأغرقت المجتمع في التجاذبات والاستقطابات القَبَليّة، كلما ضعفت الهُوية الوطنية والشعور بالمواطنة لدى أفراد المجتمع وتَقوّت الهُوية الإثنوثقافية.

وهكذا يظل الاستقرار الاجتماعي مهدد ليس باحتمال حدوث احتلال أجنبي أو هجوم عسكري من الخارج، وإنما مهدد بانفجار الصراعات القبلية الداخلية والتي غالبا ما تساهم الحكومة المحلية في تزكيتها، أو بانفجار الصراعات بتحالف القبائل التي تشعر بالغبن نتيجة للتهميش ضد الحكومة تحت مظلة شعارات سياسات العولمة التي ذكرناها سابقاً، فيصبح أمام الأسر التي تخوض مثل هذه الصراعات طريق واحد هو تنمية الهُوية الإثنوثقافية التي تعمل على توحيد الجماعة من الداخل وإهمال الهُوية الوطنية، وفي حالة نزوح هذه الأسر هروباً من ويلات الصراعات والاقتتال إلى المدن، تنتقل عدوى التمحور حول القبيلة وانتماء الإثنوثقافي إلى الأسر في المدينة، لتستمر عمليات إعادة انتاج الولاء والتمحور القبلي في مقابل ضعف أو اختفاء الولاء الوطني.

الاحالات المرجعية:

1- بهاء الدين مكاوي محمد قيلي (2003) تسوية النزعات في السودان ـ نيفاشا نموذجاً، مركز الراصد للدراسات والبحوث.
2- بهاء الدين مكاوي (2003) الصراعات الإثنية في القارة الإفريقية، مركز دراسات الشرق الأوسط وإفريقيا ـ قضايا استراتيجية (1).
3- جون هيلنر وآخرون (2007) الاستبعاد الاجتماعي، ترجمة محمد الجوهري، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 344.
4- حسين عبد الحميد أحمد رشوان (2007) البناء الاجتماعي الأنساق والجماعات. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية.
5- رشاد صالح دمنهوري (1995) التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي. دار المعارف الجامعية.
6– رعد حافظ سالم (2000) التنشئة الاجتماعية السياسية وأثرها على السلوك السياسي. دار وائل للنشر. عمان . الأردن.
7– ريتشارد داوسن وآخرون (1990) التنشئة السياسية. ترجمة مصطفى عبد الله ابو القاسم وآخرون. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي.
8- سناء الخولي (1988) الزواج والأسرة في عالم متغير. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
9- سعد جلال (ب.ت) علم النفس الاجتماعي. منشأة المعارف بالإسكندرية.
10- السيد يسين (2006) إعادة اختراع السياسة من الحداثة إلى العولمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب.

11- صامويل هنتنجتون (1998) صدام الحضارات – إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2.
12- صلاح الدين الشامي (1972) السودان دراسة جغرافية، 1972م، منشأة المعارف بالإسكندرية.

13- عبد العزيز خالد (ب.ت) جنوب السودان إلى أين، ط1.
14- على ليلة (2007) المجتمع المدني العربي ـ قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
15- فرانسيس فوكوياما (1993) نهاية التأريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1.

16- فؤاد موسى (1970) الدولة عند هيجل، مجلة الفكر المعاصر، هيجل في القرن العشرين، العدد67.

17- فؤاد البهي السيد (1993) علم النفس الاجتماعي. دار الفكر العربي. القاهرة. ط2.
18- فيصل سالم (ب.ت) أساسيات التنشئة السياسية الاجتماعية. مع دراسة ميدانية في بعض دول الخليج. جامعة الكويت.
19- مجدي أحمد عبد الله (ب.ت) السلوك الاجتماعي وديناميات (محاولة تفسيرية). دار المعرفة الجامعية. القاهرة.
20- مصطفى فهمي ومحمد على القطان (1997) علم النفس الاجتماع (دراسات نظرية وتطبيقية). مكتبة الخانجي. القاهرة. ط3.
21- أوراق عمل (1425هـ) اللقاء الرابع لرؤساء أقسام التوعية الإسلامية في إدارات التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية.
22- الوطنية كائن هلامي (2001) " كتاب المعرفة 10 "، محمد عمارة: الروح الوطنية روح الحياة، الرياض، روناء للإعلام المتخصص، ط1.
23- بالوطنية كائن هلامي (2001) " كتاب المعرفة 10 "، محمد محمود العمر: تضاد الهويتين - ثقافية الأمة وقانونية الوطنية، الرياض، روناء للإعلام المتخصص.
24- الوطنية كائن هلامي (2001)" كتاب المعرفة 10 "، على مزروعي: الوطنية العربية في القرن ال21 (ستظهر مرة أخرى وتسقط)، الرياض، روناء للإعلام المتخصص.
25. Francis Mading Deng(1973) "DYNAMICS OF IDENTIFICATION" a basis for national integration in the Sudan, published and printed by KHARTOUM UNIVERSITY PRESS, p.o. box 321, Khartoum, Democratic Republic of the Sudan.
26. Young, Kimball (1946) Social Psychology, London-Kegan Paul, Trench, Trubner & CO. , LTD. Broadway House, 68-74 Carter Lane, E.C.
27. hekmah.org/الهوية-الثقافية-والعولمة-10-أطروحات-مح/ 14.2.2019, 05:09
28. Identity Politics, http://en.wikipedia.org/wiki/Identity_Politics.

29- ارهيد دايفيد: نحن هنا وهم هناك – وجها الهوية الجماعية، مقدمة لأسبوع فسيفساء إسرائيلية، http://cms.educatio.gov.il/
30- بونا ملوال: صحيفة السوداني الدولة والهوية الجامعة، العدد 555 ،2007-07-04م، http://www.alsudani.info/index.

31- باقر جاسم محمد: الهوية الوطنية ـ محاولة في التعريف الوظيفي، http://www.balagh.com/islam/u10s34a5.htm
32- جعفر شيخ إدريس: المواطنة والهوية، http://www.jaafaridris.com/Arabic/aarticles/almuatana.htm
33- شريف يونس: كتاب سؤال الهوية، http://www.geociti.com/sameh562001/index5.html
34- الخضر هارون: أزمة هوية أم عقبات ملازمة لميلاد الدولة القطرية؟ 2006م، http://www.kefaya.org/06znet/
35- عبد الجبار عبد الله: السودان في متاهة من الهوية إلى الوحدة أو وضع العربة أمام الحصان، http://snrphiladelphia.net
36- عاطف عبد الله قسم السيد: ثقافة أم مثاقفة: السودان وحرب الهويات، http://www.arkamani.org/vol_3/anthropology
37- ممدوح الشيخ: الأفريقانية والعروبة – صراع دارفور في مرآة الهُوية، http://www.islamonline.net/arabic/arts/2004/
38- مروان الجبوري: السودانية، صراع ما بعد السلام، 2005م، http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/03/
39- هبة رءوف عزت: المواطنة بين المثاليات الجماعية وأساطير الفردية http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem/2002/05/article2.shtml